القرآن
الصاحب الوفي

الطبعة الخامسة

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

طبعة مزيدة ومنقحة

القُرْآنُ...الصَّاحِبُ الوَفِيُّ

قِصَّةٌ قَصِيرَةٌ تَحْوِي بَعْضَ فَضَائِلِ القُرْآنِ
بِأُسْلُوبٍ قَصَصي جَدِيدٍ

جمع وإعداد
مؤيد عبد الفتاح حمدان

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن فضائل القرآن الكريم لا تحصى، وعجائبه لا تنقضي، وحلاوته لا توصف، هو فضل من الله عظيم، يُلهَمُهُ السُّعداء ويُحْرَمُهُ الأشقياء.

من تعلُّمه لله رفعه الله، ومن حافظ على معاهدته كان في حفظ الله، ومن علمه غيره كان من خير عباد الله.

هو الأنيس في الوحشة، والصَّاحب في الغُربة، والمحدِّث في الخلوة.

يرفع اللَّه به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة تُقتَصُّ آثارهم، ويُقْتَدَى بفعالهم، ويُنتهى إلى رأيهم، حتى ترغب الملائكة في مجلسهم ومجالستهم، وبأجنحتها تحفهم.

وقد قمت بحمد اللَّه وتوفيقه بإعداد هذا الكتاب بعنوان: «القرآن الصاحب الوفي»، جمعت فيه بعض ما صح من فضائل القرآن بأسلوب قصصي، يرغب في حفظه، ويدل السالك على طريقة حبه، ويبين للصاحب طريقة الصحبة، وأثر ذلك في الدنيا والآخرة.

واللَّه سبحانه وتعالى أسأل أن يجعل هذا

العمل خالصا لوجه، دالا لعباده، مرشدا للخير، نافعاً للغير.

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

مؤيد عبد الفتاح حمدان

الكويت

البَحْثُ عَنِ الصَّاحِبِ الوَفِيِّ

أَرَادَ أَنْ يَتَّخِذَ صَاحِباً صَادِقاً، مُخْلصاً وَفِيًّا، نَاصِحاً نَافِعاً، يُصَاحبُهُ فِي كُلِّ أَحْوالِهِ وَأَوْقاتِهِ، فِي خَلَواتِهِ وَسَكنَاتِهِ، فِي حَياتِهِ وَمَماتِهِ، فِي قَبْرِهِ وَمَبْعثِهِ، فِي دُنْياهُ وَآخِرَتِهِ، فَلَمْ يَجِدْ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا... إِذْ إِنَّ كُلَّ صَاحِبٍ فِي الدُّنْيا لَا بُدَّ مِنْ مُفَارَقتِهِ، ثُمَّ كَيْفَ لَهُ أَنْ يَجِدَ صَاحِباً صَادِقاً فِي هَذَا الزَّمَانِ! وَأَنَّى لَهُ أَنْ يُصَاحِبَهُ فِي قَبْرِهِ فَضْلًا عَنْ مَبْعثِهِ وَحَشْرِهِ، وَاللَّهُ عز وجل يَقُولُ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ

مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ الآيَة.

وَبَعْدَ جُهْدٍ جَهِيدٍ، وَبَحْثٍ طَوِيلٍ... وَجَدَ بُغْيَتَهُ... وَنَالَ مُرَادَهُ... وَجَدَ ذَلِكَ الصَّاحِبَ الصَّادِقَ النَّافِعَ، الَّذِي يُصَاحِبُهُ فِي كُلِّ الأَحْوالِ وَالأَوْقاتِ، وَفِي كُلِّ الحَرَكاتِ وَالسَّكَناتِ...

أَتَدْرُونَ مَنْ صَاحِبُهُ فِي حَيَاتِهِ؟

أَتَدْرُونَ مَنْ صَدِيقُهُ فِي مَماتِهِ ؟

أَتَدْرُونَ مَنْ أَنِيسُهُ فِي قَبْرِهِ وَبَعْثِهِ وَحَشْرِهِ ؟

إِنَّهُ القُرْآنُ... نَعَمْ إِنَّهُ القُرْآنُ يَا أُمَّةَ القُرْآنِ.

فَتَعَالَوْا لِنَتعَرَّفَ مَعاً، كَيْفَ بَدَأتِ العِلاقَةُ

مَعَ هَذَا الصَّاحِبِ الوَفِيِّ... وَإِلَى أَيْنَ سَنَنْتَهِي...

* * *

بِدَايَةُ الصَّدَاقَةِ وَالصُّحْبَةِ...

بَدَأَ يَقْرأُ القُرْآنَ وَيُرتِّلهُ، يَترنَّمُ بِهِ وَيَحْفظُهُ، كَانَ مَعَ إِخْوانِهِ فِي حَلَقاتِ القُرْآنِ يَتمثَّلُهُ. . .

أَحَسَّ بِالرَّاحَةِ، غَشِيَتْ قَلْبَهُ الطُّمَأْنِينَةُ، تَنزَّلَتْ عَلَيْهِ وَعَلَى إِخْوَانِهِ السَّكِينةُ، كَيْفَ لَا وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «وَمَا اجْتَمعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدارَسُونَهُ بَيْنهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيتهُمُ الرَّحْمةُ، وَذَكرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدهُ»(١).

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩).

تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِالمَسَاجِدِ. . .أَحَبَّهَا. . . فَأَحَبَّتْهُ. . .

الكَثِيرُ مِمَّنْ حَوْلَهُ اشْتَغلُوا بِالدُّنْيَا وَمَلذَّاتِهَا. . . وَهُوَ اشْتَغَلَ بِالقُرْآنِ وَحِفْظِهِ وَتِلاوَتِهِ. . .

قَدْ عَلِمَ أَنَّ أَجْرَ القُرْآنِ وَتَعلُّمَهُ أَعْظَمُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا. . . قَالَ ﷺ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى المَسْجِدِ فَيَعْلمُ أَوْ يَقْرأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عزوجل خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ»[1].

أَنْهَى جُزْأَهُ الأَوَّلَ. . . الثَّانِي. . .

(١) رواه مسلم (٨٠٣).

الـثَّـالِثَ . . . حَـفِـظَ الـقُـرْآنَ الـكَـرِيـمَ كَامِلًا . . . فَحَفِظَهُ القُرْآنُ .

كَانَ يَجْمَعُ الحَسَنَاتِ جَمْعًا وَهُوَ لا يَشْعُرُ، فَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يقول: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»(١).

صَارَ القُرْآنُ سَمِيرَهُ فِي وَحْدَتِهِ، أَنِيسَهُ فِي وَحْشَتِهِ، خَلِيلَهُ فِي غُرْبتِهِ، أَحْيَا بِهِ لَيْلَهُ، أَسْعَدَ بِهِ قَلْبَهُ، نَاجَى بِهِ رَبَّهُ .

كَانَ الجَمِيعُ مِنْ حَوْلِهِ يَغْبِطُونَهُ عَلَى هَذِهِ الـنِّـعْـمَـةِ الـعَـظِـيـمَـةِ، وَحُـقَّ لَهُـمْ ذَلِكَ،

(١) رواه الترمذي (٢٩١٠)، وقال الألباني: صحيح .

وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ القُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ»[١].

* * *

(١) متفق عليه، وهذا لفظ ابن ماجه (٣٣٩٣).

القِيَامُ بِحَقِّ الصُّحْبَةِ فِي كُلِّ وَقْتٍ...

وَمِثْلَما كَانَ القُرْآنُ صَاحِبَهُ فِي اللَّيْلِ كَانَ أَيْضاً صَاحِبَهُ فِي النَّهَارِ، أَقَامَ حُدُودَهُ وَحُرُوفَهُ، تَأَدَّبَ بِآدَابِهِ، تَغَنَّى بِتَرْدَادِهِ، صَارَ كَالأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَالأُتْرُجَّةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ»[1] صَارَ كَحَامِلِ المِسْكِ، يَفُوحُ طِيباً وَخُلُقاً وَإِيمَاناً.

نَعَمْ... قَدْ كَانَ فَقِيراً، كَانَ ضَعِيفاً، كَانَ لَا يُلْتَفتُ إِلَيْهِ، لَكِنْ رَفَعَهُ اللَّهُ بِالقُرْآنِ،

(١) متفق عليه.

وَأَعْلَى شَأْنَهُ بَيْنَ الأَنَام، وَصَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذْ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الكِتَابِ أَقْوَاماً، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»(١) وَيَقُولُ: «يَؤُمُّ القَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ»(٢).

كَانَ بَعْدَ رُجُوعِهِ مِنَ العَمَلِ يَشْتَغِلُ بِالقُرْآنِ، فَالقُرْآنُ شُغْلُهُ الشَّاغِلُ، وَمُتْعتُهُ المَاتِعَةُ... كَانَ يَعِيشُ مَعَ القُرْآنِ تَعَلُّماً وَتَعْلِيماً، قِرَاءَةً وَتَدبُّراً، مُطَالَعةً وَتَفْسِيراً... كَانَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ وَأَفْضَلِهِمْ، وَلِمَ لَا... وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمهُ»(٣)، إِنَّهُ لَمْ يَنْسَ يَوْماً قَطُّ قَوْلَهُ

(١) رواه مسلم (٨١٧).
(٢) رواه مسلم (٨١٧).
(٣) رواه البخاري (٤٧٣٩).

ﷺ: «أَهْلُ القُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ»[١]، وَقَوْلَهُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُحِبَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلْيَقْرَأْ فِي المُصْحَفِ»[٢]، فَكَانَ مِمَّنْ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ.

كَانَ دَائِمًا يَفْزَعُ إِلى الصَّلاةِ وَالقُرْآنِ عِنْدَ كُلِّ هَمٍّ وَغَمٍّ وَتَعَبٍ، فَيَجِدُ الرَّاحَةَ فِي قَلْبِهِ وَالسُّرُورَ فِي نَفْسِهِ، وَلا عَجَبَ، فَالقُرْآنَ رَبِيعُ القَلْبِ، مُزِيلُ الهَمِّ، وَمُذْهِبُ الغَمِّ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ حُزْنٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ

(١) رواه أحمد في مسنده (٣ / ١٢٧)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢٢١٩)، وحسنه الألباني (٢٣٤٢).

عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ بَصَرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ»[١].

* * *

(١) رواه ابن حبان (٩٧٢)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

الافْتِرَاقُ المَحْتُومُ...

تَمْضِي الأَيَّامُ وَالسُّنُونَ، وَالصَّاحِبَانِ لَا يَفْتَرِقَانِ، وَلَكِنَّهُ القَدَرُ، وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً... وَدَّعَ حَافِظُ القُرْآنِ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا، تَرَكَ فِيهَا بِحَاراً مِنَ الحَسَنَاتِ دَفَّاقَةً... وَأَنْهاراً مِنَ الصَّدَقَاتِ رَقْرَاقَةً.... حَلَقَاتٌ هُنَا، حُفَّاظٌ هُنَاكَ، عُلُومٌ تَتَنَاقَلُهَا الأَجْيَالُ.

* * *

الوَحْدَةُ فِي القَبْرِ...

وَضَعُوهُ وَحِيداً فِي قَبْرِهِ، أَهَالُوا عَلَيْهِ التُّرَابَ، ذَرَفَ عَلَيْهِ أَهْلهُ دُمُوعَ الفِرَاقِ، لَحظَاتٍ وَتَرَكَهُ الجَمِيعُ فِي قَبْرِهِ وَحِيداً... أَهَالَتْهُ ضَمَّةُ القَبْرِ وَصُرَاخُ المُعَذَّبِينَ مِنْ حَوْلِهِ، فَقَدْ كَانَ القَبْرُ ضَيِّقاً، وَالظُّلْمةُ شَدِيدَةٌ، وَالوَحْدَةُ فَظِيعَةٌ...

عِنْدَهَا أَتَاهُ العَذَابُ... مِنْ أَيِّ؟ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ... وَفَجْأَةً جَاءَهُ صَاحِبُهُ الوَفِيُّ، جَاءَهُ القُرْآنُ لِيُدَافِعَ عَنْهُ... لِيَمْنَعُ عَنْهُ العَذَابَ، قَالَ ﷺ: «يُؤْتَى الرَّجُلُ فِي قَبْرِهِ، فَإِذَا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ دَفَعتْهُ تِلَاوَةُ القُرْآنِ،

وَإِذَا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ يَدَيْهِ دَفَعتْهُ الصَّدَقَةُ، وَإِذَا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ دَفَعَهُ مَشْيُهُ إِلَى المَسَاجِدِ»[١].

نَعَمْ كَانَ القُرْآنُ صَاحِبَهُ الوَفِيَّ فِي ذَلِكَ المَوْقِفِ العَظِيمِ، مَنَعَ اللَّهُ بِهِ عَنْهُ العَذَابَ وَدَفَعَهُ بَعْدَمَا اسْتَوْجَبَ عَلَيْهِ، قَالَ ﷺ: «سُورَةُ تَبَارَكَ هِيَ المَانِعَةُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ»[٢]. وَقَالَ: «إِنَّ سُورَةً فِي القُرْآنِ، ثَلَاثُونَ آيَةً، شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ، وَهِيَ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ»[٣].

* * *

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، وحسن إسناده الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٦١).
(٢) انظر السلسلة الصحيحة للألباني (١١٤٠).
(٣) رواه الترمذي (٢٨٩١)، وحسنه الألباني.

الاخْتِبَارُ الصَّعْبُ..

بَعْدَ ذَلِكَ جَاءَهُ المَلَكَانِ الشَّدِيدَانِ العَظِيمَانِ، الأَسْوَدَانِ الأَزْرَقَانِ، مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ، فَانْتَهرَاهُ وَأَجْلَسَاهُ، وَسَأَلَاهُ...

مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَا تَقُولُ فِي الرَّجُلِ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟

كَانَ المَوْقِفُ رَهِيباً، وَالخَطْبُ عَظِيماً، وَالاخْتِبَارُ صَعْباً...

قَالَ لَهُمْ - بَعْدَ أَنْ مَسَحَ عَنْ عَيْنَيْهِ التُّرَابَ -: «دَعُونِي أُصَلِّي»[1].

(١) شاهد ذلك قوله ﷺ: «فيجلس يمسح عينيه، =

كَانَ يُرِيدُ الصَّلَاةَ فِي قَبْرِهِ، يُرِيدُ القُرْآنَ، فَلَطَالمَا تَمتَّعَ بِالصَّلَاةِ وَالقُرْآنِ، وَكَانَا أَنِيسَهُ عِنْدَ كُلِّ فَاجِعَةٍ وَمُصِيبَةٍ.

«فَيَقُولُونَ: إِنَّكَ سَتَفْعَلُ، أَخْبِرْنَا عَمَّا نَسْأَلُكَ عَنْهُ؟»[1] «مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَى اللَّه عليه وسلم، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عَلَّمَكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ».

= ويقول: دعوني أصلي» رواه ابن ماجه (٤٢٧٢) وحسنه الألباني.

(١) جزء من حديث رواه ابن حبان، وقال الألباني: حسن، انظر صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٦١).

فَيَنْتَهِرُهُ، فَيَقُولُ: مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَا نَبِيُّكَ؟ وَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تَعْرِضُ عَلَى المُؤْمِنِ؛ فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ اللَّهُ عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، وَدِينِيَ الإِسْلَامُ، وَنَبِيِّيَ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى الجَنَّةِ. قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ»(١).

نَعَمْ، إِنَّهُ القُرْآنُ الصَّاحِبُ الوَفِيُّ...

(١) انظر كتاب الجنائز للألباني فقد ساق حديث البراء هذا بطوله، وجمع ألفاظه في سياقٍ واحدٍ، وقد صحَّحه الألباني.

أَهْوالٌ وَأَخْطارٌ عِنْدَ أَوَّلِ البَعْثِ...

نَفْخٌ فِي الصُّورِ، وَبَعْثُ مَنْ فِي القُبُورِ، وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ...

النَّاسُ فِي كَرْبٍ عَظِيمٍ، وَخَوْفٍ رَهِيبٍ، وَخَطَرٍ كَبِيرٍ...

الْمُنَادِي قَدْ نَادَى، وَالْخَلائِقُ اسْتَجابُوا... خَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِم كُلٌّ قَدْ عَلاهُ الهَمُّ وَالغَمُّ وَالذُّلُّ وَالخَوْفُ وَالحُزْنُ، النَّاسُ حُفَاةٌ عُرَاةٌ...

الأُمُّ قَدْ ذَهُلَتْ عَنْ رَضِيعِها، وَكُلُّ ذاتِ حَمْلٍ وَضَعَتْ حَمْلَها...

شَـابَ شَـعْـرُ الـوَلِيـدِ، كُـلٌّ يَـصِـيـحُ:
نَفْسِي. . .نَفْسِي نَفْسِي. . . . . .

❊ ❊ ❊

لِقَاءٌ بَعْدَ طُولِ انْتِظارٍ..

وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ المَوْقِفِ الرَّهِيبِ العَظِيمِ، يَعُودُ الصَّاحِبُ الوَفِيُّ لِحَافِظِهِ... لِحَامِلِهِ... لِقارِئِهِ... لِصاحِبِهِ الوَفِيِّ.

يَجِيءُ إِلَيْهِ لِيَلْقاهُ لِقاءَ الوَفاءِ فِي يَوْمٍ عَزَّ فِيهِ الأَخِلَّاءُ... قالَ ﷺ: «إِنَّ القُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ، فَيَقولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقولُ: مَا أَعْرِفُكَ: فَيَقُولُ: أَنَا صَاحِبُكَ القُرْآنُ، الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الهَوَاجِرِ، وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجارَتِهِ، وَإِنَّكَ اليَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجارَةٍ، فَيُعْطَى

المُلْكَ بِيَمِينِهِ، وَالخُلْدَ بِشِمالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تاجَ الوَقارِ»[١].

لَمْ يَنْسَ الصَّاحِبُ الوَفِيُّ أَنْ يَكُونَ وَفِيًّا أَيْضًا لِوَالِدَي حافِظِهِ وَقَارِئِهِ فَأَلْبَسَهُمْ أَحْسَنَ الحُلَل، قالَ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ وَتَعَلَّمَهُ وَعَمِلَ بِهِ أُلْبِسَ يومَ القِيامَةِ تَاجًا مِنْ نُورٍ، ضَوْؤُهُ مِثْلُ ضَوْءِ الشَّمْسِ، وَيُكْسَى وَالِداهُ حُلَّتَيْنِ لا تَقُومُ بِهِما الدُّنْيا، فَيَقُولانِ: بِما كُسِينا؟ فَيُقالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُما القُرْآنَ»[٢].

* * *

(١) رواه أحمد في مسنده (٥ / ٣٤٨)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن في المتابعات والشواهد.

(٢) رواه الحاكم في مستدركه (٢٠٨٦)، قال الألباني: حسن لغيره، انظر صحيح الترغيب والترهيب (١٤٣٤).

جُمعٌ وَحشْرٌ وَحرٌّ... وَظِلٌّ!

تَدْنُو الشَّمْسُ مِنَ الخَلائِقِ عَلَى قَدْرِ مِيلِ المُكْحَلَةِ... النَّاسُ يَتَصَبَّبُون عَرَقًا، فَمِنْهُم إِلَى كَعْبَيهِ، وَمِنْهُم إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُم مَنْ يُلْجِمُهُ العَرَقُ إِلْجامًا، الجَمِيعُ.... فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، الجَمِيعُ.... فِي كَرْبٍ عَظِيمٍ، وَفَجْأَةً يَأْتِي مِنْ بَعِيدٍ.... ذَلِكَ الصَّاحِبُ الوَفِيُّ «إِنَّهُ القُرْآنُ...» جَاءَ القُرْآنُ يَقْدُمُهُ سُورَةُ البَقْرَةِ وَآلِ عِمْرانَ، كَأَنَّهُما غَمامَتانِ سَوْداوانِ عَظِيمَتانِ تُظَلِّلانِ صَاحِبَهُما مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ، مِنْ حَرِّ ذَلِكَ المَوْقِفِ الرَّهِيبِ. وَلِمَ لَا وَهُو الَّذِي طَالَما تَلاهُمَا،

طَالَما أَحَلَّ حَلالَهُما، طَالَما حَرَّمَ حَرامَهُما..... قال ﷺ: «يُؤْتَى بِالقُرْآنِ يَوْمَ القِيامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ البَقَرَةِ وَآلِ عِمْرانَ، كَأَنَّهُما غَمامَتانِ أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ»[1].

* * *

(١) رواه مسلم في صحيحه (٨٠٥).

مَوازِينُ الحِسَابِ.. وَالشَّفِيعُ المُسْتَجابُ

تُنْصَبُ المَوَازِينُ ، يَبْدَأُ العَرْضُ وَالحِسَابُ، الكُلُّ مُنْشَغِلٌ بِنَفْسِهِ، الأَرْضُ هُنَا تَتَحَدَّثُ، الأَرْجُلُ وَالأَيْدِي هُنَاكَ تُسْتَنْطَقُ، الأَنَامِلُ هُنَا تَنْطِقُ، الكُلُّ يَبْحَثُ عَمَّنْ يُنْجِيهِ، عَمَّنْ يَشْهَدُ لَهُ، عَمَّنْ يُدافِعُ عَنْهُ، عَمَّنْ يُجادِلُ عَنْهُ، الكُلُّ يَبْحَثُ عَنْ شافِعٍ مُصَدَّقٍ، عَنْ شافِعٍ مُجابٍ. . . وَفِي تِلكَ الأَثْناءِ، يَأْتِي الصَّاحِبُ الوَفِيُّ، الشَّافِعُ المُشَفَّعُ، وَالماحِلُ المُصَدَّقُ، القُرْآنُ . . .

جَاءَ فِي هَذَا الزِّحامِ الشَّدِيدِ، لِيَشْفَعَ لِصَاحِبِهِ عِنْدَ اللَّهِ، قال ﷺ: «الصِّيَامُ

وَالقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ القُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ»(١).

إِنَّهُ القُرْآنُ، الشَّفِيعُ المُجَابُ عِنْدَ اللَّهِ، قَالَ ﷺ: «القُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ، مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ»(٢).

* * *

(١) رواه أحمد في مسنده (٣ / ١٧٤)، وانظر صحيح الترغيب والترهيب (١٤٢٩).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير، وصححه الألباني، انظر السلسلة الصحيحة (٢٠١٩).

رِفْعَةٌ مَا بَعْدَهَا رِفْعَةٌ...

وَبَعْدَ أَنْ دَخَلَ حَافِظُ القُرْآنِ الجَنَّةَ، لَمْ يَتْرُكْهُ صاحِبُهُ القُرْآنُ، بَلْ جَاءَهُ لِيَرْفَعَهُ... وَيَرْفَعَهُ.... وَيَرْفَعَهُ.... جَاءَ لِيَجْعَلَهُ مَعَ المَلائِكَةِ الكِرامِ البَرَرَةِ قال ﷺ: «الَماهِرُ بِالقُرْآنِ مَعَ السَّفَرةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ»(١)، جَاءَ لِيَجْعَلَهُ فِي أَعْلَى المَنَازِلِ: «اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُها»(٢)، كُلُّ آيةٍ بِمَنْزِلَةٍ.

(١) رواه البخاري ومسلم، وهذا لفظ مسلم (٧٩٨).
(٢) رواه أبو داود في سننه (١٤٦٤)، وقال الألباني: حسن صحيح.

إِنَّهُ القُرْآنُ، إِنَّهُ الصَّاحِبُ الوَفِيُّ، يَصْحَبُكَ فِي الدُّنْيا، وَفِي القَبْرِ، وَفِي المَحْشَرِ، وَيَقُودُكَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعالَى إِلَى الجَنَّةِ إِنْ أَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ.

❊ ❊ ❊

وَيَبْقَى السُّؤَالُ الأَهَمُّ:
كَيْفَ تَصْحَبُ القُرْآنَ؟

١- اصْحَبِ القُرْآنَ بِكَثْرَةِ تِلاوَتِهِ وَخَتْمِهِ، قال ﷺ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ»(١).

٢- اصْحَبِ القُرْآنَ بحفظه، قال ﷺ: «لَوْ جُعِلَ الْقُرْآنُ فِي إِهَابٍ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ مَا احْتَرَقَ»(٢).

---

(١) رواه أبو داود في سننه (١٤٦٤)، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٢) رواه الدارمي، وصححه الألباني، انظر السلسلة الصحيحة (٣٥٦٢).

٣- اصْحَبِ القُرْآنَ بِتَعَلُّمِ أَحْكَامِهِ وَكَيفِيَّةِ تِلاوَتِهِ. . . قال ﷺ: «الذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ»(١).

٤- اصْحَبْهُ بِالعَمِلِ بِهِ، وَبِتَحْلِيلِ حَلالِهِ وَتَحْرِيمِ حَرامِهِ. . . قال ﷺ: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا، وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا»(٢).

٥- اصْحَبْهُ بِتَدَبُّرِهِ وَقِراءَةِ تَفْسِيرِهِ وَفهم مَعانِيهِ. قال رسول اللَّه ﷺ: «تَعَلَّمْ كِتَابَ اللَّهِ وَاعْمَلْ بِمَا فِيهِ»(٣).

(١) رواه البخاري ومسلم، وهذا لفظ مسلم (٧٩٨).
(٢) رواه أبو داود (٤٢٤٤)، وحسنه الألباني.
(٣) رواه ابن ماجه (٢٤٢)، وحسنه الألباني.

٦- اصْحَبْهُ بِتَعْلِيمِهِ وَتَحْفِيظِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ كَانَ لَهُ ثَوَابُهَا مَا تُلِيَتْ»(١).

٧- اصْحَبْهُ بِالصَّلاةِ وَالقِيامِ بِهِ. . . قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ فِي لَيْلَةٍ كُتِبَ لَهُ قِنْطَارٌ، وَالقِنْطَارُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ: اقْرَأْ وَارْقَ لِكُلِّ آيَةٍ دَرَجَةً، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ آيَةٍ مَعَهُ، يَقُولُ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ لِلْعَبْدِ: اقْبِضْ، فَيَقُولُ العَبْدُ بِيَدِهِ يَا رَبُّ أَنْتَ أَعْلَمُ، فَيَقُولُ بِهَذِهِ الخُلْدَ،

(١) أخرجه أبو سهل القطان، وقال الألباني: إسناده جيد، انظر السلسلة الصحيحة (١٣٣٥).

وَبِهَذِهِ النَّعِيمَ»[١]..

٨- اصْحَبْهُ بِطِباعَتِهِ وَنَشْرِهِ وَكَفَالَةِ حَافِظِهِ وَمُحَفِّظِهِ، فَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ المُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ، عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ»[٢].

اصْحَبِ القُرْآنَ فِي الدُّنْيا. يَصْحَبْكَ فِي الآخِرَةِ.

(١) رواه الطبراني في الأوسط(٨٤٥١)، وحسنه الألباني، انظر صحيح الترغيب والترهيب (٦٣٨).
(٢) رواه ابن ماجه (٢٤٢)، وحسنه الألباني.

احْفَظِ القُرْآنَ فِي الدُّنْيا. .يَحْفَظْكَ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ

وَصَدَقَ رَسُولُ اللَّه ﷺ حِينَما أَوْصَى قائِلاً: «عَلَيْكَ بِتِلاوَةِ القُرْآنِ وَذِكْرِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الأَرْضِ، وَذُخْرٌ لَكَ فِي السَّماءِ»(١).

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، قال الألباني: صحيح لغيره.

الفهرس

- المقدمة ٥
- البَحْثُ عَنِ الصَّاحِبِ الوَفِيِّ ٨
- بِدَايَةُ الصَّدَاقَةِ وَالصُّحْبَةِ ١١
- القِيَامُ بِحَقِّ الصُّحْبَةِ فِي كُلِّ وَقْتٍ... ..... ١٥
- الافْتِرَاقُ المَحْتُومُ ١٩
- الوَحْدَةُ فِي القَبْرِ ٢٠
- الاخْتِبَارُ الصَّعْبُ ٢٢
- أَهْوالٌ وَأَخْطارٌ عِنْدَ أَوَّلِ البَعْثِ... ..... ٢٥
- لِقَاءٌ بَعْدَ طُولِ انْتِظارٍ ٢٧
- جَمْعٌ وَحَشْرٌ وَحَرٌّ... وَظِلٌّ! ٢٩
- مَوازِينُ الحِسَابِ.. وَالشَّفِيعُ المُسْتَجابُ ٣١
- رِفْعَةٌ مَا بَعْدَهَا رِفْعَةٌ ٣٣
- وَيَبْقَى السُّؤَالُ الأَهَمُّ: كَيْفَ تَصْحَبُ القُرْآنَ؟ . ٣٥